

# حالة حبّ متقدّمة<sup>١</sup>

بِسْمَةِ الْبُوعْبِيدِي<sup>٢</sup>

رَنَ هَاتِفُهَا الْجُؤَالَ دَاخِلَ حَقِيْبَةِ يَدِهَا الْمَلَقَاةَ عَلَى الطَّائِلَةِ أَمَامِهَا. ارْتَبَكْتُ وَنَظَرْتُ السَّيِّدَ الْمَدِيرَ تَرَقَّبَهَا.

- مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الصَّبَاحُ؟

الدُّرُوسُ تَسِيرُ عَادِيَّةً، وَتِلَامِذَتِي يَسْتَوْعِبُونَهَا فِي يُسْرٍ، وَالْبَرِيدُ لَمْ يَحْمِلْ الْيَوْمَ مَنشُورًا جَدِيدًا عَنِ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ، فَمَا الدَّاعِي لِهَذِهِ الزِّيَارَةِ؟ سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَأْتِيهَا عَبْرَ الْجِهَازِ عَذْبًا حَتُونًا. ارْتَبَكْتُ أَكْثَرَ. احْمَرَّ وَجْهُهَا خَجَلًا وَكَأَنَّهَا ابْنَةُ سَبْعَةِ عَشْرَ عَامًا. حَلَقْتُ مَعَ الصَّوْتِ الْقَادِمِ مِنْ بَعِيدٍ لِحِظَاتٍ، انْتَبَهْتُ بَعْدَهَا إِلَى وُجُودِ الْمَدِيرِ بِجَانِبِهَا وَإِلَى نَظَرَاتِ تِلَامِيذَتِهَا. أَنْهَتِ الْمَكَالَةَ عَلَى وَعْدِ بِاللِّقَاءِ.

مَا هُوَ بِاللِّقَاءِ الْأَوَّلِ. وَلَكِنْ كُلُّ لِقَاءٍ لَهُ مَذَاقُ الْبَدَايَةِ.

«رَجُلٌ... كَمَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ

خَطِرٌ... نَزَقِ

مَضْنٍ وَمَكْتَنَظٍ... مَرِيبٍ فِي الْهَوَى

لَسِينٍ... لَبِقِ

أَوْ مِثْلَ مَجْهُولِ الثَّنَايَا مُرْبِكِ

بِالشَّكِّ وَالْأَشْبَاحِ مَسْكُونِ،

وَمَسْدُودِ الْأَفْقِ.»<sup>(١)</sup>

عَادَتُ جَذَلِي. نَشْوَةُ لِقَائِهِ لَمْ تَغَادِرْهَا. فَتَحَتُ حَقِيْبَتَهَا وَأَخْرَجَتِ الْمِفْتَاحَ، وَجَعَلْتُ تَعَالِجُ قَفْلَ الْبَابِ. لَكِنَّهَا لَاحِظَتْ غِيَابَ خَنْصَرِهَا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ يَدِهَا. دَقَّقَتِ النَّظْرَ فَتَيَقَّنَتْ مِنْ عَدَمِ وُجُودِهِ بَيْنَ أَصَابِعِهَا. عَدَّتْهَا، وَكَرَّرَتْ الْعَدَّ، وَالنَّتِيْجَةُ وَاحِدَةٌ. يَسْتُ. جَزَعْتُ. حَزَنْتُ. ذَرَفْتُ. تَسَالَعْتُ: «أَيْنَ اخْتَفَى إِصْبَعِي؟ كَيْفَ اخْتَفَى؟ أَيْمُنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَقَطَ مَيِّ فِي مَكَانٍ لِقَائِنَا؟»

عَادَتُ أَدْرَاجَهَا. مَشَّطْتُ الْمَكَانَ. نَقَّبْتُ. لَا جَدْوَى. أَيْنَ إِصْبَعِي؟

اسْتَعَادَتُ تَفَاصِيلَ اللَّقَاءِ.

أَسْكَنَ يَدِهَا وَرَكَضًا بَعِيدًا. حَلَقًا كَعَصْفُورَيْنِ. حَدَّثَهَا كَثِيرًا. نَسِيَ أَرْقَامَ الْبُورْصَةِ وَالْمَصَاعِبَ الَّتِي تَمَرَّ بِهَا شَرِكْتُهُ، وَأَنْسَاهَا مَنْطِقَ أَفْلَاطُونِ وَعَقْلَانِيَّةَ دِيكَارْتِ وَبِيدَاغُوجِيَا التَّعْلِيمِ. غَفَتَ بَيْنَ يَدَيْهِ. لَمَلَّتْ أَصَابِعُهُ خِصَالَاتِ الشَّعْرِ عَنْ وَجْهِهَا. رَسَمَ قَبْلَةَ حَارَةً عَلَى الْجَبِينِ الْبَارِدِ. ارْتَعَشَ الْجَسَدُ.

ضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ ضَمًّا. سَمِعْتُهُ يَهْمَسُ بِالْكَلِمَةِ الْعَجَبِ. تَنَهَّدَتْ وَكَأَنَّهَا تَجِيبُ: أَيْ سِحْرُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟ غَنَّتْ:

«لِي مَذْهَبٌ

فِي الْعَشْقِ مَنْفَرْدٌ... وَلِلْعَشَاقِ أَهْوَاءُ.

فَأَنَا الصَّفِيَّةُ فِي الْهَوَى

❖ - كَاتِبَةٌ تُونِسِيَّةٌ.

١ - مِنْ قَصِيدَةِ «قَامُوسِ الرِّجَالِ» مِنْ دِيْوَانِ النِّسَاءِ لِمَجْمَلَةِ الْمَاجْرِي.

خَلَصَتْ

ولهم مذاهبُ في الهوى التبستُ

وتشبهُ

وضلالة... ورياء»<sup>(١)</sup>

تردّدتُ وهو يمسك يديّ المرتعشة بين يديه الحنونتين الدافئتين. أتخبره عن ضياع إصبعها؛ ولم تخبره.

حين كانت تعالج قفلَ الباب مرةً أخرى لاحظت اختفاءً بنصرها. دار رأسها. وغشي بصورها.

...

تكرّرت لقاءاتهما، وتكرّر اختفاءً أصابعها الواحد تلو الآخر: الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والإبهام.

بعد كل لقاء تَفَقَّدُ إصبعاً من أصابع يدها اليمنى ثم اليسرى.

لم تَبْحَ له بالسِرِّ. وحدها تحملتُ جزعَ الفقد، ولهيبةَ الحيرة. عند عودتها بعد لقاءهما آخر مرة افتقدتُ أحد أصابع قدمها اليمنى، وعرفتُ أنّ دور بقية أصابع رجليها أت لا محالة، فعزمتُ امرأةً: عند زهابها للقاءِ المقبل ستقتلع ما بقي لها من أصابع وتتركها مخبأةً في البيت وتُحْكَم إغلاق بابها.

...

عادت جذلي وواثقةً أنّها هذه المرة لم تَفَقَّدُ أيَّ إصبع من أصابعها. فتحت الباب. اتّجهت مباشرةً إلى مخبأ أصابعها. تحسّستها. عدتها. ابتهجتها. أعادتها إلى مكانها من قدميها وهي مطمئنة.

ولكنّ حين وقع بصورها على المراة المعلقة في المرآة جمدتُ نظراتها وهي تتأمل مكانَ أذننها اليمنى فارغاً.

تونس

١ - المصدر السابق، من قصيدة «مذهب».